

شعارات التأسيس في الثورة السورية وتسميات أيام الجمع

عمر كوش

باحث منفرد وكاتب

Kouch.omar@gmail.com

الملخص

تنطلق الورقة من النظر إلى اللغة، بوصفها مكوناً أساسياً للتواصل بين الناس، وإطاراً للمفاهيم الثقافية والسياسية والاجتماعية، التي تمتلك رمزية خاصة. ويجري الخوض في شعارات التأسيس، وفي رمزية الشعار السياسي في الثورة السورية، من منطلق اعتبار الشعارات السياسية، في زمن الثورة، ظاهرة، تنهل من معين حياة الناس وذاكرتهم، وتعكس طموحاتهم ومطالبهم وآمالهم وتطلعاتهم، ولها تفاعلاتها، وامتداداتها، الداخلية والخارجية. ويمكن القول أن الثورة السورية تميزت بلغة شعاراتها، التي اختلفت باختلاف الأطوار التي مرت بها الثورة، حيث بدأت كحركة احتجاجية سلمية، ثم بات لها مركبات ومكونات وأطر، سياسية وإعلامية وعسكرية. وامتازت التظاهرات السلمية بشعارات عفوية، ومفكر فيها أيضاً، وتحولت إلى مشهديات احتفالية، تمازج فيها الموروث الشعبي، من أغاني وأهازيج وعروضات، محلية شعبية، مع ابتكارات فنية جديدة، لم تشهد سائر ثورات العالم الحديث مثل لها. وتميزت مختلف أطوار الثورة السورية بكثرة وتغاير الشعارات المطروحة، إذ كانت في البداية تركز على الكرامة والحرية، حيث انطلق أول شعار في الثورة السورية، وهو «الشعب السوري ما بينذل»، تبعه شعار «الله سوريا حرة وبس»، ثم مع الامتداد الأفقي للثورة، وتزايد سقوط الشهداء، وسيلان الدم في الشوارع والساحات، اختلفت الشعارات، لتطالب بإسقاط النظام الأسدي، ومحاسبة رموزه وأركانها، وإظهار التضامن والتعاضد مع المدن والبلدات والقرى، التي تعرضت للقمع الشديد، ولحرب شاملة، مدمرة، لا تميز بين البشر والحجر.

نحاول في هذه الورقة قراءة لغة الشعارات، وتسميات أيام جمع التظاهر، وتبيان مدلولاتها ومركباتها، والبحث عن جذورها في المخزون الشعبي، والابتكارات التي قام بها شباب الثورة وناسها.

كلمات مفاتيح: الثورة السورية؛ مرحلة التأسيس؛ الشعار السياسي؛ الحراك الاحتجاجي؛ الثقافة الشعبية؛ اللغة الثورية؛ كوجيتو الثورة؛ أيام الجمع.

Abstract

Establishing Slogans in the Syrian Revolution

Omar Kouch

This paper starts from considering language as an essential form of communication between people and as a framework for cultural, political and social concepts which possess special symbolism. The establishing slogans are being studied from the starting point as a phenomenon in the time of the revolution. This phenomenon draws from the lives of the people and their memory. The Syrian Revolution is distinguished with the language of its slogans which changed according to its stages; the revolution which started as a peaceful protest, then possessed political, media and military compounds and frameworks. The peaceful demonstrations were characterized with the spontaneous and thoughtful slogans at the same time. It turned into celebrating scenes which combined between public heritage (songs and carnivals) and new artful inventions; a phenomenon which was the first of its kind in the modern revolutions. The different stages of the Syrian revolution were characterized with the multiplicity and changeability in slogans rose. In the beginning, they were concentrating on freedom and dignity. And then with the horizontal spread of the revolution, the increase in the number of martyrs and the flowing of blood in the streets, the slogans changed and started to demand toppling of the Assad regime and holding those in charge responsible. In this paper we try to read the language of the slogans, the names of the Fridays, to explain their denotations and components, to search their deep roots in the popular heritage and study the inventions created by the youth and people of the revolution.

Keywords: Syrian revolution; slogan; popular heritage; language; names of Fridays; Youth; Syria.

المقدمة

كتب المحتجون السوريون آلاف الشعارات في تظاهراتهم السلمية، ورسوموا، وخطّوا حروفها بدمائهم وآلامهم. وجعلوا من الجدار واللوحة واللافتة صورهم، التي حاولوا أن يُفهموا العالم من خلالها، تعبيرات ثورتهم ومطالبهم، من أجل الحرية والكرامة، والخلاص من الاستبداد المقيم عقوداً على صدورهم.

وشكّلت الشعارات التي رفعتها أيادي المتظاهرين السوريين ظاهرة مبدعة وغنية، تدعو إلى التأمل والبحث عن مكونات هذا المخزون ومصادره، التي تنهل من ذاكرة الإنسان السوري، ومما أنتجه عقله رداً على سنوات القهر. سنوات الرعب والصمت والقمع والإذلال والكبت، والحرمان من مختلف أشكال التعبير، وبخاصة التعبير السياسي، في ظل عهود الاستبداد الثقيلة. ولعل تعبيراتها الرمزية واللغوية والثورية، تكشف مكونات ما تكتننه دواخل السوريين من تعبيرات واحتفاليات، حرموا منها لعقود طويلة، وتلقي الضوء على حصيلة وعي، استخدم الموروث التاريخي والتراث الشعبي، وكيفه في خدمة الحراك الثوري، ومطالب وتطلعات غالبية الناس في سوريا.

ولا تغادر مصادر ومراجع كتابات الثورة، ولغتها، تأثيرات ثورات الحرية والكرامة العربية، أو ما عُرف بثورات الربيع العربي، إضافةً إلى عمق ارتباطها بجذور عميقة، تمتد إلى الثقافة الشعبية، والحديثية، وتنهل من المعرفة، والحسّ السياسي، ومن التراث الشعبي، وترتبط بالزمن السوري الضارب عميقاً في التاريخ، وفي الوجدان، وحيث الأشواق والأمنيات. وعليه فإن محاولة دراسة المصادر الثقافية والتراثية التي نهل منها السوري، لا تنفصم عن فهم ظاهرة الحراك الثوري الاحتجاجي، وتبيان مصادر الشعارات والكتابات، التي تشكل ثقافة جماهير المحتجين، بوصفها ثقافة ثورة الإنسان السوري الجديد.

المنهج والمقاربة

تنطلق الورقة من النظر إلى اللغة بوصفها مكوناً أساسياً للتواصل بين الناس، وإطاراً للمفاهيم الثقافية والسياسية والاجتماعية، التي تمتلك رمزية خاصة⁽¹⁾. ويجري الخوض في شعارات مرحلة التأسيس، والتظاهر السلمي في الثورة السورية، التي بدأت شرارتها الأولى مع مظاهرة حيّ الحريقة، يوم 17 شباط (فبراير) 2011⁽²⁾، القلب التجاري للعاصمة دمشق، ثم عرفت انطلاقها في تظاهرة سوق الحميدية، يوم الثلاثاء 15 آذار (مارس) 2011⁽³⁾. وامتدت على طوال فترة سبعة أشهر من الحراك السلمي لناس عزّل، لتنتهي في «جمعة ماضون حتى إسقاط النظام»، المؤرخة يوم 16 أيلول (سبتمبر) 2011، التي رفع خلالها شعارات عديدة، أهمها: «عندما نقتل.. نزداد إصراراً»، و«عندما نعتقل.. نزداد إصراراً»، والأهم هو شعار «الثورة انطلقت... ولن يوقفها، سوى إسقاط النظام»، بوصفه الشعار الذي نفترض أنه أعلن اكتمال مرحلة «التظاهر الأعزل» في الثورة السورية وسيرها نحو مسارات متعددة.

وتهتم الورقة بالنظر إلى رمزية الشعار السياسي في الثورة السورية، لكن من منطلق اعتبار الشعارات السياسية، في زمن الثورة، ظاهرة، تنهل من معين حياة الناس وذاكرتهم، وتعكس طموحاتهم ومطالبهم وآمالهم وتطلعاتهم، ولها تفاعلاتها الداخلية والخارجية.

وتتأسس مقاربتنا للغة الشعار السياسي على إدراك وفهم عام لعلاقة التناسب

(1) مانفريد فرانك، حدود التواصل، ترجمة عز العرب الحكيم بناني، الدار البيضاء، 2002، 15. وكذلك: J. Habermas, *Théorie de l'agir communicationnel*, trad. J.M. Ferry, Paris, 1987, T. 1, p. 9.

(2) انطلقت مظاهرة عفوية في سوق الحريقة في دمشق، للمرة الأولى منذ أربعة عقود، وصل عدد المتظاهرين إلى ما يقارب الألفي شخص، احتجاجاً على إهانة أحد رجال الأمن لابن أحد التجار، ردّد خلالها المتظاهرون، شعار «الشعب السوري ما بيندل»، لأول مرة، وخوفاً من امتداد المظاهرة، حضر وزير الداخلية في محاولة لامتصاص غضب المتظاهرين والتفاهم معهم، ووعد بمعاينة رجل الأمن والضابط المسؤول عنه.

(3) شهدت العاصمة دمشق، مظاهرة احتجاجية في سوق الحميدية والجامع الأموي، تطالب بالحرية، شارك فيها العشرات. واعتقلت قوات الأمن ستة من المحتجين. وأظهر شريط فيديو عرضته، بعض المواقع المعارضة للنظام، عشرات المواطنين نساءً ورجالاً، وهم يتظاهرون في سوق الحميدية المجاور للجامع الأموي في وسط العاصمة دمشق. وردد المتظاهرون شعار «الله سورية وحرية وبس»، لأول مرة، بينما كان مصور الشريط يعلن انطلاق الشرارة الأولى للانتفاضة السورية، انظر: www.youtube.com/watch?v=NwagE-jPSXA.

الطرد المتبادلة بين اللغة والفكر من جهة أولى، وبين اللغة وطبيعة الثورة السورية من جهة أخرى. ولا شك في أن هذا يستلزم تحديداً أولياً لتبيان وظائف لغة الشعار السياسي، والنهج الذي تعمل به، والإرهاصات والتداعيات التي تنتج عن استخدامها، إلى جانب تحديد كيفية انتشارها وامتداد جذورها.

وقد مثلت الشعارات والكتابات الجدارية، في مرحلة التأسيس والتظاهر الأبرز للثورة السورية، رسائل إعلامية، وراءها مرسل يعيها ومستقبل يتلقاها، مثلها في ذلك مثل أية رسالة إعلامية أخرى، يضع المرسل في اعتباره وجهة الرسالة، وغايتها، والهدف المتوخى منها، ولذلك يتأثر شكل الرسالة ومضمونها على الدوام بطبيعة المرسل والمستقبل.

ويمكن القول إن الثورة السورية تميزت بشعاراتها السياسية والمطلبية والاجتماعية⁽⁴⁾، واختلفت مضامينها ولغتها، باختلاف مراحل أو أطوار الثورة، التي بدأ حراكها الشعبي سلمياً، ثم باتت لها مركبات ومكونات وأطر تنظيمية وسياسية وإعلامية وعسكرية.

مركب التأسيس

صدحت حناجر المحتجين في التظاهرات السلمية بشعارات عفوية أحياناً، ومفكر فيها في غالب الأحيان، لكنها اكتسبت حمولات عديدة مع تحول التظاهرات اليومية إلى مشهديات بصرية وجسدية، وتشكيلات فنية، تمازجت فيها شعارات وأغاني الثورة الجديدة مع ما يخترنه الموروث الشعبي، من أغاني وأهازيج وعروضات، محلية شعبية، مع ابتكارات فنية جديدة، لم تشهد سائر ثورات العالم الحديث مثيلاً لها.

وركزت الشعارات المرفوعة على الكرامة والحرية، حيث انطلق شعار «الشعب السوري ما بينذل» بوصفه أول شعار في الثورة السورية، هتفت به جموع من السوريين في منطقة «الحريقة»، القلب التجاري لمدينة دمشق، وتأقلم نفس الشعار في درعا في صيغة «الموت ولا المذلة»، بعد سقوط عدد من الشهداء، ثم

(4) جمال شحيد، «شعارات الانتفاضة والموالاة في سوريا»، في أوراق بحثية، كانون الثاني (يناير)، 2012، انظر:

<http://www.arab-reform.net/ar>

تحولت لغة الشعارات، من رفض المذلة وإعلاء قيمة الكرامة، وتفضيل الموت على الخضوع، إلى المطالبة بالحربة، وجعلها مقام تشييد للغة ثورية، وذلك بالتلازم مع رفض الاستمرار في العيش في ظل الوضع القائم. وبات شعار «الله سوريا حرة وبس»، يكمل ثنائية الكرامة والحربة، بوصفهما مركبي التأسيس للثورة السورية.

وجرى التأسيس للثورة السورية حول مطالب وشعارات وطنية جامعة لكافة الفئات، تمحورت حول الكرامة والحربة، إضافة إلى مطالب اجتماعية، وتجاوز التحريض والنزعات الطائفية، وصولاً إلى المطالبة بإسقاط النظام.

وإذا كانت الشعارات الأولى تتمحور حول الحرية والكرامة، إلا أنه مع الامتداد الأفقي للحراك⁽⁵⁾، كرس الالتفاف حولهما تعاضد فئات اجتماعية، وسطي وفقيرة، واسعة، وعلى وحدة السوريين، بمختلف مدنهم وبلداتهم وقراهم، وبمختلف أطيافهم الدينية والمذهبية والإثنية، جسدها شعار «واحد واحد واحد.. الشعب السوري واحد»، بل إن الشعار ذاته، «بالروح بالدم نفديك يا درعا»، أعلن امتداد التعاضد والتكاتف إلى مختلف المناطق، حيث تناوبت وتالت أسماء المدن والبلدات السورية الأخرى فيه، من الجنوب إلى الشمال ومن الغرب إلى الشرق⁽⁶⁾.

وبالرغم من محاولات تنمية وتقوية مختلف الانتماءات - ما قبل المدنية - من مناطقية وعشائرية وطائفية ومذهبية، التي فعلت فعلها على مدى عقود عديدة من الزمن، وأنتجت وعياً إيديولوجياً زائفاً، بل ومقلوباً وعصابياً، وسلوكاً أقلبياً

(5) بدأ الامتداد الأفقي للثورة السورية منذ الأيام الأولى لها، حيث خرجت في أول يوم جمعة (جمعة الكرامة: 18 مارس 2011) مظاهرات في العديد من المدن والبلدات السورية، منها: درعا وحى الميدان والمزة والمرجة في دمشق، وفي الزبداني، وفي منطقة القامشلي وعمامودا واللاذقية ودير الزور، وفي حمص وطرطوس، وإدلب وحماة وسواها. وفي جمعة الإصرار (15 أبريل 2011)، التحمت مظاهرة دوما بمظاهرة حرسا في مشهد مهيب، هز وجدان السوريين، ثم انضمت روافد من عربيين وزملاكا، وسارت الحشود الكبيرة إلى ساحة العباسيين في دمشق، كي تلتقي بمظاهرين آخرين، وحاول المتظاهرون الاعتصام في الساحة لكن قوات الأمن واجهتهم بإطلاق الرصاص. وقبل ذلك بثلاثة دخلت الاحتجاجات أيضاً حرم الجامعات السورية لأول مرة، في دمشق و«حلب» يومي الاثنين والثلاثاء 11-12 أبريل 2011.

(6) وكذلك كان الأمر حين تقتحم قوات النظام مدينة أو بلدة أو تتركب مجزرة فيها، يرتفع شعار دعم ومساندة لها، مثل: «يا درعا.. حنا معاكي للموت»، أو «يا حمص حنا معاكي للموت» أو «يا حلب حنا معاكي للموت» وسوى ذلك.

لدى البعض، إلا أنّ جموعاً هامة من الناس لم تنكص إلى انتمائها الضيقة، بل تبنت انتماءات إنسانية واسعة، من دون القفز على - أو تجاوز - انتمائها الوطني، ولم ترتعن إلى نزعات جهوية أو فئوية أو أنانية وذاتوية. وانطلقت شعارات ترد على الشحن الطائفي الذي قام به النظام منذ اليوم الأول للثورة، مثل «نحننا بدنا الحرية.. إسلام ومسيحية.. ودروز وعلوية». «لا إخوان ولا سلفية.. نحننا بدنا الحرية». و«لا سلفية ولا إخوان.. ثورتنا ثورة شجعان». و«لا سلفية ولا إرهاب.. ثورتنا ثورة شباب».

ولا يعدم الأمر وجود ارتكاس في بعض الحالات إلى مختلف الانتماءات ما قبل المدنية، بسبب غياب المواطنة، إلى جانب ممارسات وسياسات التمييز، والاضطهاد والقمع والتهميش، من طرف سلطة طاغية، عاملت الناس على أساس كونهم رعايا لها، وليسوا مواطنين في دولة، لهم حقوقهم، وعليهم واجبات، يضمنها دستور البلاد. إضافة إلى تعميم الخوف، ونشر ثقافته، التي سادت، بوصفها ظاهرة راسخة، تحوّل - في ظلها - ناسٌ كثير إلى كتلة صماء من الخائعين، الذين لا يتفوهون، إلا ما تقوله السلطات والأجهزة السياسية والإعلامية، وليس لهم إلا السمع والطاعة، وترداد الشعارات السلطوية الطنانة⁽⁷⁾.

ومع تزايد سقوط الشهداء وسيلان الدم في الشوارع والساحات تغيرت الشعارات، لتطالب بإسقاط النظام ورحيل رمزه، ولإظهار التضامن والتعاقد مع مختلف المدن والبلدات التي تعرضت للقمع الشديد⁽⁸⁾. أما عندما برز المكون العسكري، من منسقين عن الجيش النظامي ومدنيين فارقوا إدارة الدولة، راحت الشعارات تطالب بحماية المدنيين، وتحبيي الجيش الحرّ، وتطالب بالتسليح، وسوى ذلك⁽⁹⁾.

في شعارات التأسيس للثورة، اختُصر الشعار السياسي في أبسط صورته، في كلمة واحدة، هي «حرية»، يؤطرها الترداد وحركات الأيدي والأجساد، وتصدح بها

(7) مثل شعار: «بالروح بالدم.. نفديك يا بشار» و«إلى الأبد إلى الأبد... يا حافظ الأسد».

(8) حسب إحصاءات قاعدة بيانات شهداء الثورة السورية، بلغ عدد الشهداء خلال الشهر الأول للثورة 119 شهيداً، بينما ارتفع في الشهر الثاني إلى 724 شهيداً، ووصل إلى 1107 شهداء في الشهر العاشر مع عمر الثورة، انظر: <http://syrianshuhada.com/?a=st&st=8>.

(9) مثل شعار: «الله محيي الجيش الحر».

حناجر المحتجين، صغاراً وكبار، نساءً ورجالا. ويستمد اقتضاب الشكل روحيته من تركيب المعنى، بالنظر إلى أن هذا اللفظ البسيط يحيل في البداية إلى معرفة ثقافية خاصة في اللغة العربية، لكن هذه المعرفة تتجاوز حدود ما تمثله الدائرة اللسانية، لأنه اكتسب بعداً عربياً ثم بعداً عالمياً. والفضل يعود إلى الثورات العربية في تحوّل الشعار إلى مفهوم له أبعاد إجرائية متنوعة على مستوى القراءة، حتى باتت كلمات مثل «حرية» و«ارحل» مقروءة عالمياً، وغدت كل منها علامة من غير تركيب، تقترح خطابات عالمية، وتدرك ضمن المقولات المشكّلة.

ولا يغيب عن لغة شعارات الثورة عنصرا الذات والذاكرة، فـ «أنا» المحتج ليست حاضرة في صرخاته فقط، بل حاضرة في أكثر من خطاطة وشعار⁽¹⁰⁾. وتحوّل العديد منها إلى مقولات مفهومية في الثورة، حوّلت أصحابها إلى أيقونات.

الذاكرة والتاريخ

جرت الإحالة في أكثر من شعار إلى الذاكرة السورية والتاريخ السوري، حيث راح المحتجون في درعا، مثلاً، يرددون شعاراتهم على وقع الأهازيج، التي ترخ بها منطقة حوران، من «الميحة»، و«السحجة»، و«الدرازية»، و«الجوفية»، و«الشعرافية»، و«الحوارانية»، و«الشمالية» و«النسورانية»⁽¹¹⁾. ولعبت الأهازيج والعروضات ومختلف أنواع الدبكات والرقص دورها الخاص في التأثير المباشر في الناس، وفق طبيعة تعبيرية خاصة. وباتت تتحكم في الانفعالات ولا تكتثر للمفاهيم، بوصفها شعلة تضيء ظلاماً. وفي حالات الانفعال لا يفكر الإنسان، لذلك ارتبطت الموسيقى والأهازيج بالجسد الفاعل، والجسد المتحرك. وهذا ما يميز طبيعة الهوى، بوصفه تجاوز الحدود العادية المحرر للانفعال والدافع به في كل الاتجاهات. وقد تحقق ذلك في التظاهرات التي عمّت مختلف المدن والبلدات والقرى السورية، من خلال

(10) مثل شعار: «علمني التاريخ... الذي يكتب بالدم لا يمحي».

(11) تزخر حوران بالعديد من أنواع الدبكات الشعبية، أهمها «الميحة والسحجة والدرازية والجوفية والشعرافية والحوارانية والشمالية والنسورانية»، التي اقترنت بالعبادات الاجتماعية، وطبيعة العمل الزراعي، ومناسبات الأعراس والتقاليد الاجتماعية بالحقل والبيدر. وهي أنواع من الرقص، تعبّر عن الأحزان والأفراح والاحتفالات، وتميز بطابعها الجماعي التراثي.

تلاطم أمواج أجساد المتظاهرين في مشهديات، لم تعرفها سوريا من قبل⁽¹²⁾. ولعل الجديد الذي قدمته الثورة السورية في حركات الجسد هو الكرنفالات أو الاحتفاليات المرافقة لها، حيث، وتنظيم متناغم ومدروس، تصطف أجساد المتظاهرين بشكل خطوط وصفوف أو دوائر في ساحة أو شارع، ثم مع ترداد الشعارات يجلسون دفعة واحدة، وحين تشتد الحماسة في مقطع معين من الشعارات أو الأغاني، تنهض الأجساد دفعة واحدة، يليها الارتفاع ثم الانخفاض في حركات تشبه الأمواج المتتالية بتسارع متناغم، مشكلةً أجساد بشرية.

ولا شك في أنه لا يمكن للمحتجين أن يتظاهروا لساعات وأيام وشهور دون أن يغنوا، ويتغنوا أغانيهم الخاصة بهم، في كل منطقة، أو حي أو بلدة، ويرددوا شعارات لها وقع وتأثير في الأذن قبل العقل. وباعتبار أن الدبكات المرافقة للأهازيج والعروضات تطاول الجانب الحسي من الإنسان، فإن هذا الجانب عندما يتجسد في الجسد الثائر، فإنه يحتاج إلى طاقة روحية، لكي يستمر، ويفرز كل طاقاته ومكنوناته، فكثير من المتظاهرين اكتشفوا أجسادهم وأصواتهم، لأول مرة، في حياتهم في ميادين التظاهر وخلال فسحات الحرية.

مشهديات التشيع

لعل ما يلفت النظر هو الشعارات التي تطلق في مراسم الدفن، مثل «يا شهيد ارتاح ارتاح... رح مواصل الكفاح». و«يا شهيد ويا مجروح... دمك هدر ما بروح». «والله لناخذ بالتار... جهّز حالك يا بشار». وتحولت مراسم دفن الشهداء، الذين يسقطون يومياً برصاص وقذائف وصواريخ وبراميل قوات النظام، إلى طقوس احتفالية، تروي وتجدد حكاية الشهادة، حيث يستحضر مشيعو مواكب شهداء الثورة التاريخ وبيعترونه، ويُعيدون ترتيبيه، بغية صناعة مستقبل جديد.

(12) مشهديات تلاطم أجساد المتظاهرين، بدأت في أحياء مدينة حُص القديمة، في وقت مبكر من الثورة، لكن من أقوى المشهديات هي تظاهرة حماة في «جمعة إرحل» (1 يوليو 2011)، التي شارك فيها أكثر من نصف مليون متظاهر، انظر على اليوتيوب:

http://www.youtube.com/watch?v=8-QFVL5rDyI وكذلك:

http://www.youtube.com/watch?v=LUFwil1bF38

وأمام مشهديات التشييع، يتوجب الوقوف طويلاً، لتفحص ملامح الثائرين، أولئك الذين يخرجون - كل يوم - إلى التظاهرات رافعين جثامين الشهداء، قبل أن يرفعهم رصفاؤهم في نعش جديد. أبطال حالمون بالحرية، مجهولو الاسم والعنوان. شهروا مقام البطولة الماثلة في إسقاط الخوف. ومن يقتل الخوف يمكنه أن يفعل ما يريد.

ويمتد الأمر إلى معنى أن يشييع إنسان أحد رصفائه، وهو يعلم أنه قد يأخذ مكانه في تابوت التشييع في يوم ما، لذلك يأخذ طقس التشييع معنى مختلفاً في زمن الثورة السورية، ويثير انفعالات خاصة، حين يحمل نعش الشهيد، الملقوف بعلم الثورة، على أكتاف المشيعين الذين يدورون على محيط دائرة، تتسع مع الهتافات والصيحات، فتزداد الحمية، ويتصاعد الهوى، ويصل الانفعال إلى حدّ النشوة الروحية، ويبلغ الحال أوجه.

لقد باتت مشاهدة الموت في سوريا يومية، ويمكن أن تحدث في أية لحظة، ولعل الموت فجائي، ولحظته أقصر من أي تسجيل مصوّر يُبثّ على «يوتيوب»⁽¹³⁾. ويمكن مشاهدة الموت عبر لقطة تظهر رجلاً ملفوفاً بكفن أبيض، تحيط برأسه شرائط بيضاء، وتحشو أنفه قطعة قطن بيضاء. لكن الموت أيضاً تحوّل إلى شبح يحوم فوق الأطفال والرجال والنساء والشيوخ، حيث يحوّلهم إلى مجرد أجساد أطفال مكدسة فوق بعضها البعض، في خطوط طويلة لا تنتهي. إنه موت السوريين المكدمين بسرعة خارقة، ومع ذلك يمكن القول أن لا شيء يخفف من رغبة السوريين في الانعتاق والتحرر، والرغبة في الوصول إلى فضاءات جديدة، وبناء صروح الحرية وتشبيد مقاماتها.

لغة الشعارات

تشير لغة الشعار السياسي في الثورة السورية إلى رمزية خاصة، وإلى تحوّلها وتجسّدتها في ثانيا خطاب يتوجه إلى عموم السوريين، حتى باتت مكوناً أساسياً

(13) استخدم إعلاميو الثورة ونشطاءها اليوتيوب لبث مقاطع مصورة وفيديوهات، تصوّر المظاهرات، والمجازر، ومواكب تشييع الشهداء، ولحظات القصف الذي تتعرض له المناطق الثائرة. وهناك أرشيف كبير جداً.

للتواصل بين المحتجين والجمهور العام، الأمر الذي شكّل ظاهرة لمأسسة مفاهيم الثورة، ومخاطبة جموع الداخل والخارج.

إنّ من ينظر في لغة شعارات الثورة السورية التأسيسية، يجد أنها لم تك أسيرة التظاهرات والاحتجاجات وظرفيتها، بل إن كثيراً منها لا يصلح للإنشاد في المظاهرات، مثل شعار: «مظاهراتنا سلمية.. مطالبنا شرعية» و«النظام اللي بيحك منك منو شبيح سقطوا واستريح». «الشعب الفلسطيني المذبوح يتضامن مع الشعب السوري المذبوح». «ونحن نحب الحياة إذا ما استطعنا إليها سبيلاً». «تصبحون على وطن» وتصبحون على حرية». «عمو الشهيد عدنان وهبة سلّم لي على رفقاتي أطفال الحولة». «سوري = علوي + درزي + مسيحي + سني + إسماعيلي + إلخ».. «الفرق بين العدل والانتقام كالفرق بين الثورة والنظام» و«رصاصكم لن يقتل سوى الخوف فينا».

وتنطوي كلمات مثل هذه الشعارات على أبعاد، تتجاوز ما يخاطب وجدان المتظاهر، ففيها خيبة ورجاء وحزن وفرح، تشكل ما هو أعقد من توظيفها في تظاهرة أو حراك احتجاجي إلى ما هو وطني. وبالتالي، يمكن القول بأن لغة بعض شعارات الثورة، تسعى إلى تجاوز الثورة للوصول إلى ما هو دائم ومستمر في الناس، أي تجاوز الجوهر السياسي للشعار السياسي إلى جوهر إنساني، الأمر الذي يكشف أن الثورة السورية إنسانية وليست سياسية⁽¹⁴⁾.

وقد اعتبر الفيلسوف الألماني، مارتن هايدغر، اللغة أحد المكوّنات الأساسية، التي لا تشكل وسيلة للتواصل بين الناس فحسب، بل إطاراً يحدد المفاهيم الثقافية والسياسية والاجتماعية التي تشكل المنظومة الفلسفية لمجتمع ما. ومن ضمن هذه

(14) من الأمثلة على الطابع الإنساني والأخلاقي للثورة السورية أن قادة الحراك المدني السلمي الذي قتلته قوات النظام، مثل غياث مطر ويحيى الشريجي، كانوا يوزعون التمر والخبز والماء على الجنود الذي يقتحمون مناطقهم، ونظموا مظاهرات كانت تحمل الورود وأغصان الزيتون، وكانوا يعطون أجهزة هواتفهم للجنود على الحواجز كي يُطْمَئِنُوا وَيُطْمَئِنُوا على أهاليهم. ومن الأمثلة الأخرى، الكلمات الخالدة، التي قالها الشهيد العقيد يوسف الجادر، قائد عملية تحرير مدرسة المشاة، حين سُئل عن شعوره بعد تحريرها، فقال: «والله مزعوج، لأنو هاي الدبابات دبابتنا، وهدول العناصر إخوتنا، والله العظيم.. والله العظيم، كلما بشوف إنسان مقتول مننا، أو منهم، بزعل».

انظر: <http://www.youtube.com/watch?v=zifYd0zVdSM>.

المفاهيم ما يرتبط إلى حد ما بمسألة «رمزية» اللغة، وهي مسألة يغوص فيها الناس، من دون إدراك، أو بشكل لاواع⁽¹⁵⁾.

إن من قام بكتابة الشعارات هم الشباب، من الذكور والإناث، المنخرطون في العمل الميداني، وخاصة شباب التنسيق، إلى جانب بعض الأفراد والمجموعات غير المنظمة. وهم في الغالب من الشباب، الحاصل على قسط لا بأس به من التعليم والثقافة، أما صياغة الشعار، فقد تكون من فعل الكتاب أنفسهم أو بتوجيه من القيادات الميدانية⁽¹⁶⁾.

وقد تكون الكتابة بعد تخطيط مسبق أو توجيه خارجي، كما قد تكون بمبادرة فردية ذاتية، حيث يقوم مجموعة أشخاص تربطهم صداقة أو علاقة ضمن تنظيمية في تنسيقية الحي أو المدينة، ويكون هنالك تنسيق وتخطيط سابق واتفق على ما يراد كتابته.

ولا تغادر مصادر ومراجع، شعارات الثورة ولغتها، تأثيرات ثورات الحرية والكرامة العربية، أو ما عرف بثورات الربيع العربي، إضافة إلى عمق ارتباطها بجذور عميقة، تمتد إلى الثقافة الشعبية، وتنهل من المعرفي والحسي، السياسي والاجتماعي، ومن التراث الشعبي، وترتبط بالزمن السوري، الضارب عميقاً في

(15) إبراهيم أحمد، أنطولوجيا اللغة عند مارتن هيدجر، بيروت، الدار العربية للعلوم، ط1، 2008. وكذلك: إيلي حداد، حول رمزية اللغة، في:

http://www.maaber.org/issue_april12/lookout4.htm

(16) انتشرت التنسيقيات في مختلف أحياء المدن والبلدات والقرى السورية، وظهر أغلبها في أوائل شهر مايو 2011، ونشأت في ضوء الحاجة الملحة إلى قيادة وتنظيم المظاهرات ومختلف فعاليات الحراك الاحتجاجي الشعبي. من التنسيقيات التي اشتهرت، تنسيقية كفرنبل، نظراً لتمييز شعاراتها ورسوماتها. ويتقاسم العمل في التنسيقية مجموعة مكونة من حوالي عشرين شاباً، موزعين على مكاتب للحراك المدني والتشديد، والعمل الإسعافي والإغاثي، وعلى المكتب الإعلامي، حيث المسؤول عن الرسومات على اللافتات الصغيرة هو الفنان احمد جلال، أما الرسومات على اللافتات الكبيرة من القماش، فهو الفنان رائد فارس. وهناك من يترجم الشعارات إلى اللغة الإنكليزية. ويستقي أعضاء التنسيقية أفكار شعاراتهم من نقاشهم الجماعي ومن الناس أيضاً.

انظر: <http://the-syrian.com/archives/99083>

أنظر أيضاً:

<https://www.facebook.com/media/set/?set=a.348641575220978.85947.115708715180933&type=3>

التاريخ، وفي الوجدان، حيث الأشواق والأمنيات والأحلام تكمن دافئة في ثنايا الذاكرة الجمعية.

ولا شك في أن اللغة الثورية تُنتج فكراً ثورياً، وبنفس الوقت يمكن القول بأن الفكر الثوري يُنتج لغة ثورية. هذه العلاقة الطردية تنطبق أيضاً على العلاقة بين اللغة وطبيعة النخبة الثورية، التي تقود الثورة. وفي المقابل، فإن السلطة الاستبدادية أنتجت على مدار أربعة عقود لغة استبدادية، بحيث باتت اللغة العربية التي يتكلم بها أهل الحكم لغة تسلطية قمعية، نتيجة الاستبداد السياسي المقيم⁽¹⁷⁾.

وإن كان الانفعال طاقة تعبيرية تسعى الكلمات إلى تنظيمها وترويضها، فإن اللغة الثورية التي وظفها حراك الشباب السوري في التظاهرات وميادين العمل الميداني المختلفة، أنتجت فكراً ثورياً جديداً، مختلفاً كل الاختلاف عن لغة ثوريّ الأمس، ثوريّ أفكار وأحزاب ومخلفات الحرب الباردة وإرهاصاتنا. وهو أمر يفسر وجود هوة كبيرة بين خطاب الثائرين السوريين وخطاب مختلف مجالس وتنظيمات وهيئات المعارضة السورية، بل ويبدو أحياناً أن خطاب بعض شخصيات المعارضة المتقدمة، يفترق تماماً عن خطاب جيل الثورة الجديد، بل، ويقترّب، ويلتقي، في أجزاء منه مع خطاب السلطة الاستبدادية.

غير أن الحروف الواضحات، والغامضات كذلك، التي تحيل إلى الشعار، إنما تحيل إلى اللغة التي تقول الأشياء، أشياء الوطن، والوطن موجود في الثورة، والثورة لا تنتظر أحداً ولا شيئاً، بل، لا تعرف الانتظار، فمن تأخرت ولادته، فإن أحداً لا ينتظره، ذلك أن الماضي يمضي كما هو، لا يُقاد ولا يقود، ولا يتبقى منه غير آثار قد تذوب ولا تذوب، وذكريات قد تمحى ولا تمحى.

وفي الإنشاء الثوري أو لِنَقْل الخلق الثوري، يستخدم الإنسان الكلمات والحروف، ويركبها جمالياً ليخلق منها صياغات تعجّنها الأحاسيس والانفعالات، وهذا يجعل اللغة ترتعش وتتعثّع، أو حتى تغني وتهتف وتصرخ، وهو ما يميّز شعارات الثورة السورية، إذ نجدها تستبدل الانفعالات ومختلف المؤثرات، من مشاهد ووجوه ورؤى وصيرورات بحقول، أو مركبات أحاسيس تحل محل اللغة،

(17) انظر خطاب بشار الأسد، بتاريخ 10 يناير 2011 <http://www.cflit.net/speeches.htm>

فتنشأ بذلك لغة أخرى داخل اللغة.

لغة اللغة هذه، تنادي شعباً للمجيء وأرضاً أو وطناً كي يستريح، ولأجل ذلك يطوّع المحتج السوري لغته، يبعثرها ويجعلها تهتز ويحضنها ويداعبها. وقد يمزقها كي يحصل منها على ما يريد من أحاسيس، تجسّد العذاب الإنساني المتجدد على مدى يقارب الثلاث سنوات.

وقد دخل العديد من الشعارات والكتابات مرحلة العقل الثوري، بعد أن أزاحت عن طريقها العقل السلطوي، ثم انتقلت من بعد لتتراص على مقامات تشييد، جسّدها سوريون في مظاهراتهم وهتافاتهم وحركات أجسادهم. وجرت الإحالة في أكثر من شعار إلى الذاكرة السورية والتاريخ السوري. على أن يفهم من كلمة سوريا، البشر والإقليم والبيئة المكتنفة.

وعلى مدى أشهر عديدة، ارتبطت شخصية المتظاهر السوري ببطولة مفهومية في حدث الثورة، جسّدت مظاهرات درعا وبانياس والبيضاء والميدان والزبداني وحمص وحماة ودير الزور وجامعة حلب وسواها.

لغة السلطة

في المقابل، أنتجت السلطة الاستبدادية في سوريا، على مدار أكثر من أربعة عقود، لغة استبدادية، بحيث باتت اللغة العربية التي يتكلم بها أهل الحكم لغة تسلطية قمعية، نتيجة سيادة مركبات الاستبداد المتعدد المركبات والحوامل. ويمكن تتبع الدور الذي مارسته لغة السلطة، عبر الشعارات الفارغة التي رفعتها، بدء من شعار «الله، سوريا، بشار، وبس»، وصولاً إلى شعار «الأسد..أو نحرق البلد».

وقد أسهمت شعارات النظام الأسدي، بنسخته، الأب والابن، في تثبيت سطوته وهيمنته، ونشر ثقافة الخوف، وفي صناعة أسطورة الأسد، بوصفه الزعيم الأوحده، وتعزيز ديكتاتوريته، وفي شل قدرة الآخرين على المقاومة والرفض.

وبالنظر إلى الوظيفة التي تقوم بها اللغة السياسية للأنظمة الاستبدادية الحاكمة، نجد أن وظيفة اللغة التي سكنت جميع الخطب والكتابات السياسية لرموز النظام السوري، تنحصر في الدفاع عن سياسات، لا يمكن الدفاع عنها، أو تبريرها في الواقع، وتقدم نموذجاً للغة تحاول إلباس الأكاذيب ثوب الحقائق، في محاولة لجعلها

أداة فرض لضمان استمرار النظام.

وقد أفضى ذلك إلى خلق نوع من اللغة الفاسدة والمضللة، وإلى تقويتها حتى تُصبح مهيمنة ومسيطرة، بينما تُحارب اللغة الثائرة، كل من يحاول إخفائها وإسكاتها وتكميم أفواه أصحابها. إضافة إلى أن لغة السلطة الاستبدادية، كانت عامودية، موجهة من أعلى إلى أسفل، لا يدخلها الحوار، بل ولا تقرّ به، بعكس لغة السلطة الديمقراطية والليبرالية، فهي أفقية تفتح باستمرار على لغة «الأخر».

ربما تستطيع اللغة الديكتاتورية تحقيق وظيفتها الرئيسة؛ أي الدفاع عما لا يمكن الدفاع عنه، بواسطة ظواهر من قبيل التلطفات، والغموض الإبهامي المطلق، إضافة إلى الاستعارات الفاسدة والكلمات الطويلة والمصطلحات المنهكة. هذه الظواهر تمثّل بعض الخصائص اللغوية والبلاغية للخطاب السياسي الفاسد، التي يلجأ إليها الشخص بشكل غريزي، حين توجد فجوة بين أهدافه الحقيقية والمعلنة.

ولعبت لغة السلطة دوراً في تثبيت سطوتها وهيمنتها، وفي صناعة أسطورة الزعيم الأوحد، وتعزيز ديكتاتوريته، وفي شل قدرة الآخرين على المقاومة والرفض. إن لغة السلطة تُعد نموذجاً واقعياً للخداع والتضليل، وهي في الوقت ذاته، أداة القهر الأساسية. فحين لا تنجح اللغة في تضليل الآخرين، تُستخدم في قهرهم⁽¹⁸⁾.

غير أن زمن الثورة حطّم جميع دوائر الخوف، وكسر كل الحواجز، وأنتج لغة للشعار السياسي، ساهمت في تحطيم لغة السلطة، بوصفها نموذجاً للخداع والتضليل، وفي الوقت ذاته، أداة القهر الأساسية، حيث فقدت لغة السلطة القامعة، في زمن الثورة، قدرتها في السيطرة على أفعال الناس، وبات أصحابها يدركون أن لا مكان لهم في العالم الجديد الذي خلقتة الثورة.

كوجيتو الثورة

شكلت الصرخة التي خرجت من أعماق «أحمد عبد الوهاب»: «أنا إنسان..

(18) عماد عبد اللطيف، «اللغة والثورة.. نقد الخطاب السياسي في أعمال جورج أورويل»، مجلة نزوى، 69 (يناير، 2012)، انظر:

ماني حيوان»، كوجيتو الثورة السورية بامتياز، ودخلت قاموسها الفلسفي، بوصفها المفهوم - الحدث المؤسس للثورة، التي انبثقت عن حراك احتجاجي سلمي عام، انطلق يوم 15 مارس 2010، وراح أبناؤه العزل ينشدون الأغاني ويرددون الشعارات، ويطالبون بالخلاص من ثقل الاستبداد المقيم على صدورهم⁽¹⁹⁾.

وأحمد عبد الوهاب، إنسان ينشد الحرية واسترجاع الكرامة، مثله مثل عامة السوريين. ليس فيلسوفاً ولا عالماً، بل ولد في الثورة السورية ومعها، حيث وجد تحقق كينونته - مثل كثير من السوريين - فيها، وتحول إلى أيقونة من أيقوناتها، بعد أن دشنت عبارته كوجيتو كينونة الثورة، بوصفها مفهوماً رصفت مركباته مقام الثورة، ودمج عناصره الذات والذاكرة، وأعلن اكتشاف الذات والصوت واللسان، الأمر الذي يشي بأن «أنا» المحتج باتت حاضرة ليس فقط في صرخاته، بل حاضرة كذلك في لغة الشعارات والكتابات، التي خطها أطفال درعا ومبدعو كفرنبل وشباب بستان القصر وجامعة حلب والميدان والزبداني ودوما وحمص وإدلب والقامشلي ومختلف شوارع وساحات الثورة في سوريا.

ويمكن أن نستخرج من الصيغة: «أنا إنسان.. ماني حيوان» معاني ومركبات ودلالات كثيرة لا حصر لها، ونحملها بحمولات متعددة، تتكاثر أو تتكثر مكوناتها وتتوالد الواحدة من الأخرى، بتغير الفعل وزمنه، والفاعل وضميره، أو بتغيير صيغة الجملة. ذلك أن اللغة العربية، شأنها شأن كثير من اللغات، تمتلك سياقات كثيرة بمعنى واحد أو بمعان كثيرة، هذه القدرة على استخراج التعدد والاختلاف في المعاني والدلالات، أسماها الفلاسفة، القدرة على التفلسف.

في هذه الصيغة يؤسس كوجيتو الثورة السورية مفهوماً فلسفياً، أو لنقل مفهوماً ثورياً، يمكن استعراض مستويين يؤطرانه، الأول: في صيغة «أنا إنسان» التي تجمع بين الذات والوجود الإنساني، إذ حين تمتهن الكرامة، يعتصر القلب ألماً، ويصرخ الإنسان بكل جوارحه: أنا إنسان، بوصفها مقولة تأكيد وجود حر. أما المستوى الثاني، فيتحدد في صيغة «ماني حيوان» التي تنفي عن الإنسان الفرد صفة الحيوانية، تمييزاً عنه، بامتلاك الكرامة. ومن يمتلك الكرامة يشعر بوجوده الإنساني المعزز،

(19) تعبير النبي الأعزل يعود إلى إسحاق دويتشر، وذلك في كتابه النبي الأعزل، الذي تناول فيه حياة تروتسكي.

ويتحرر من العبودية، حيث الكرامة والحرية، هما مركبا التأسيس في الثورة السورية، جمعتهما أنا الثائر كي تجسد كينونته، فالوجود هنا وجود كينونة، والكرامة هي كرامة إنسانية، لذلك نهضت الثورة السورية على كينونة حرة، رافضاً للإذلال والإهانة، الأمر الذي يفسر أن شعار التأسيس منذ الشرارة الأولى للثورة انطلق في صيغة «الشعب السوري ما بينذل» في ساحة «الحريقة»، في قلب دمشق، ثم وجد أقلمته في مدينة درعا في صيغة «الموت ولا المذلة»، وترادف مع شعار «حرية.. حرية»، وراحت جموع المحتجين العزل تردده في سائر أحياء المدن وشوارع البلدات والمناطق السورية.

ويحيل المستوى الأول للكوجيتو على الذات الإنسانية الحرّة، التي يكتمل وجودها في المستوى الثاني، بوصفه وجود كينونة كريمة أيضاً، ولا أسبقية فيما بين مكونات الكوجيتو، بل ترابط، لا يحيل إلى بناء تراتبية ما، حيث الكرامة والحرية هما شرطا تحقق الكينونة، فيما الثورة فعل هادف لتحقيق الحرية والتحرر، أي شرط تحقق للكينونة، بوصفه شرط وجود الذات، وناظم علاقتها وجودها بالآخر، والعالم والأشياء، وضمن ذلك وجود الوطن والبشر والإقليم والتاريخ.. إلخ.

وعلى الإجمال، فإن كوجيتو الثورة السورية ذاته، يحيل إلى قول إشاري حوارى، يأخذ صيغة جملة شرطية، ويحتوي على مكونات الكينونة والحرية والكرامة وتغلق في: «أنا إنسان ماني حيوان»، حيث تقدّم مكُوناته ومركباته نفسها، بوصفها قيماً تستند إلى الموروث الإنساني، وليس فقط موروثنا الثقافي، أما مرجعه فيعود إلى الحداثة وإنجازاتها المعرفية المتعددة.

تسميات أيام الجمع

التسمية، بشكل عام، تُجسّد عملية انتقال الحدث السياسي، من الحقل الواقعي إلى الحقل التعبيري، بمعنى تثبيته قولياً. وفيما يخص تسمية أيام الجمع، في الثورات العربية، فهي عملية سياسية بامتياز، القصد منها تحديد وقائع الحدث اسماً، وعكس تعدد مراحل الثورة وتطورها.

ويتضمّن خطاب التسميات، عموماً، مجموعة من العناصر المكونة، التي تتألف وتتسق طبقاً لقوانين محدّدة. ومن المفترض تحليل هذه العناصر، والكشف عن

ماهيتها واستخلاص العلاقات التي تربطها ببعضها، أي معرفة النظام السيميائي الكامن وراء الخطاب المرسل لها⁽²⁰⁾.

وقد اتخذت التسميات التي أطلقت على أيام الجمع في مرحلة تأسيس والتظاهر السلمي في الثورة السورية، طابعاً أخلاقياً في البداية ثم سياسياً وتاريخياً، ولم تتخذ طابعاً دينياً في مرحلة التأسيس والتظاهر السلمي، حيث حملت أول جمعة تظاهر اسم «جمعة الكرامة» يوم 18 آذار (مارس) 2011، تلتها جمعة العزة بيوم 25 آذار (مارس) 2011.

ويلاحظ على «تسميات جمع التظاهر» أنها تختلف عن الشعارات، من جهة تحميلها خطاباً موجهاً، ومفكراً فيه، يعكس مطالب الثوار والرسائل، التي يريدون إيصالها إلى الداخل السوري، وإلى الخارج، كما يحمل مسحة إيديولوجية دينية.

ويستند مقياس اختيار الاسم إلى المستجدات على الأرض، والتطورات السياسية، وبشكل يعكس المناخ العام الذي يسود بين صفوف المحتجين ضد النظام الأسد. وهناك من يعتبر أن الإصرار على مواصلة إطلاق التسميات، «يُعدُّ رافداً إعلامياً، يُغذي الثورة، ويجعلها تحافظ على حيويتها الثورية»⁽²¹⁾.

وقد انبرت صفحة «الثورة السورية ضد بشار الأسد»، للإشراف على إطلاق تسميات أيام المجمع، حيث تقترح عدة تسميات، تطرح على تصويت إلكتروني على الفيس بوك، ليتم اختيار الاسم الأعلى تصويتاً. وإذا كانت عملية التصويت لها بعض الإيجابيات وخاصة الطابع الديمقراطي لها، والذي يرضي الغالبية من الذين يقومون بالتصويت، فإن هذه العملية لم تكن دائماً موفقة، من حيث الإجابة عن الأسئلة السابقة الذكر. كما أن عملية التصويت من خلال الإنترنت، ليست متاحة بسهولة للشعب السوري في الداخل، ولذلك فالنتائج قد لا تعكس تماماً وجهة نظر الداخل، وبناء على ذلك طرحت العديد من التساؤلات حول دور تسميات

(20) د. رجاء أحمد آل بهيش، سيميائية إطلاق التسميات في الخطاب الدعائي، مجلة الباحث الإعلامي، بغداد، العدد 18، 2013، ص 10 و 11.

(21) مراد علي، تسمية جُمع الثورة تنوعت باختلاف الظروف، البيان، 23 مارس 2012، انظر: <http://www.albayan.ac/one-world/arabs/2012-03-23-1.1616739>

الجمعة»⁽²²⁾. واعتبر بعضهم أنها محاولة تهدف إلى «تحويل اتجاه الخطاب العام للثورة إلى توجه أيديولوجي محدد»⁽²³⁾.

وعند العودة إلى مرحلة التأسيس والانطلاق، نجد أن التسميات كانت تراعي مسألة عمومية الثورة، بمعنى أنها ثورة لكل السوريين، من خلال مخاطبتها الشعب السوري، دون تمييز، بوصفها عاملاً جامعاً له. وحاولت لغتها كسب الكتلة الصامتة منه، لذلك اتخذت مضامين أخلاقية، مثل «الكرامة» و«الصمود» و«العزة»، و«الشهداء»، «آزادي»، و«حرائر الشام»، يتوافق ويجمع عليها مختلف تكوينات الشعب السوري، وخطابها موجه للخلاص من سطوة النظام الأسدي، ومركز على القيم الأخلاقية المسلوبة للإنسان السوري.

وكانت أول جمعة تظاهر قد حملت اسم «جمعة الكرامة» في 18 مارس 2011، إيذاناً ببدء حراك شامل، لحشد الناس في ميادين وساحات التظاهر. ثم توسعت حركة الاحتجاج في «جمعة العزة» يوم 25 آذار (مارس)، حاملة رسالة واضحة، ضممتها مطالب: الحرية والكرامة والديموقراطية، بعدها أتت «جمعة الشهداء» في الأول من نيسان (أبريل)، وامتدت فيها التظاهرات إلى مدن سورية جديدة، من بينها مدن كردية، ثم انتشرت التظاهرات في «جمعة الصمود»، بزخم كبير وإصرار على الصمود. وجاءت «الجمعة العظيمة» متقاطعة مع الجمعة العظيمة لدى الطوائف المسيحية وتكريماً لها، ثم جاءت «جمعة الغضب» في 29 نيسان (أبريل)، تلتها كل من «جمعة التحدي» في 6 أيار (مايو) 2011، التي صادفت ذكرى الاحتفال بعيد الشهداء، ثم «جمعة الحرائر» في 13 أيار (مايو) 2011، وفيها توسعت بؤر التظاهرات وازدادت، وأتت «جمعة آزادي» أو الحرية في 20 أيار (مايو) 2011، رمزاً للتعاقد والتضامن بين الأكراد والعرب. وفي 27 مايو 2011 جرى اختيار «جمعة حماة الديار»، بوصفها رسالة تذكير للجنود والضباط بمهمتهم الأساسية، وهي حماية الديار، وتحمل دعوة لهم للانضمام إلى الاحتجاجات المنادية بإسقاط النظام. ثم جاءت «جمعة أطفال الحرية» في

(22) مرة أخرى عن تسمية أيام الجمع في الثورة السورية، انظر:

<https://www.facebook.com/notes/ebn-al-balad/>

(23) ياسين الحاج صالح، في «ثلاث نظريات في أسماء الجمعة»، نائل الحريري، <http://jidar.net/Policy>

3 حزيران/ يونيو 2011، تحية للأطفال الشهداء، مثل حمزة الخطيب. بعدها أتت «جمعة العشائر»، التي وجهت دعوة للعشائر إلى التحرك والانخراط في الاحتجاجات، ثم «جمعة الشيخ صالح العلي» في يوم 17 حزيران/ يونيو 2011، لتأكيد التلاحم مع المكون العلوي. ثم تنالت أسماء الجمع، وتزايد معها عدد من المتظاهرين والشهداء في الثورة السورية، وصولاً إلى جمعة «ماضون حتى إسقاط النظام» في 16 أيلول/ سبتمبر 2011، التي أعلنت اكتمال مرحلة التأسيس والانطلاقة. وفيها كتبت شعارات كثيرة، مثل «عندما نقتل نزداد إصراراً.. عندما نعتقل نزداد إصراراً»، و«الثورة انطلقت، ولن يوقفها سوى إسقاط النظام». وجاء الشعار المصلي «الثورة تذكرة دخول، لا تذكرة خروج»، كي يعلن استحالة التراجع أو التوقف، وعن انتقال الثورة إلى مرحلتها العسكرية.

والملاحظ أنه مع إمعان النظام في استعمال العنف والسلاح في وجه المحتجين السلميين، بدأ خطاب تسميات الجمع ينحو نحو السياسة أكثر فأكثر، وبرزت العناوين السياسية، مثل «سقوط الشرعية»، «ارحل»، «لا للحوار»، و«أسرى الحرية»، و«صمتكم يقتلنا»، و«ماضون حتى إسقاط النظام»، ثم تطور الأمر إلى مسارات خطيرة مع مرحلة العسكرية، وتشكيل المجاميع الإسلامية المسلحة.

وقد صاغ المحتجون شعار «لم تقتل فينا إلا الخوف»، رداً على الإمعان في القتل والتدمير، وللتأكيد على أن استنفار النظام المجرم لمختلف وسائل القمع والتهديد والتنكيل، هو أمر لن يزيد غالبية الشعب السوري، إلا إصراراً على التحدي، والمضي قدماً في المواجهة، مهما كانت التكلفة والتضحيات، لأن «الثورة انطلقت، ولن يوقفها، سوى إسقاط النظام»، بوصفه الشعار الذي أعلن اكتمال مرحلة «التظاهر الأعزل» في الثورة السورية، وسيرها نحو مسارات متعددة، مختلفة.

الخاتمة

تناولت الدراسة شعارات التأسيس في الثورة السورية، من جهة تبيان وظائف لغة الشعار السياسي، ورمزية الشعار السياسي في زمن الثورة، حيث عكست الشعارات، التي طرحت، مطالب المحتجين وتطلعاتهم وآمالهم، ونهلت من معين حياتهم وذاكرتهم وثقافتهم.

ونهضت لغة الشعار السياسي، بمختلف وظائفها التعبيرية والانفعالية والإفهامية والميتالغوية، على مقامات تشييد، جمعت بين عنصري الذات والذاكرة، من خلال حضور أنا المحتج ورموز ذاكرته وتاريخه الجمعي في أكثر من شعار. ولم تك أسيرة ظريفة حركة الاحتجاجات والمظاهرات، بل تضمنت أبعاداً تجاوزت ما هو فردي إلى ما هو وطني، منشدة تخطي البعد السياسي للشعار السياسي إلى بعد إنساني، أكثر رحابة واتساع، تطبيقاً لشعار «نريد وطناً يتسع للجميع».

وإن كانت اللغة الثورية قد أنتجت فكراً ثورياً، فإنها أنتجت - أيضاً - المعادل الضدي للغة السلطة الاستبدادية، التي أوجدت على مدار أربعة عقود لغة استبدادية، قامت على نفي الآخر وتهميشه وإلغائه، في امتداد عامودي، تعابيره متعالي، ولسان حاله يقول للآخرين «من أنتم؟»، و«من تمثلون؟»، حاملاً إساءات للآخر، واحتقار ودونية، فضلاً عن استعلاء يسكن عقل المستبد، الراض لأي تغيير، أو طموح يتخطاه.

وفي ميادين الحراك الاحتجاجي وساحاته، أسهمت جسديات التظاهر في زيادة شحنات الانفعال، فولدت طاقة تعبيرية، سعت الكلمات إلى تنظيمها وترويضها، من خلال خلق لغة ثورية، وظّفها حراك الشباب السوري في التظاهرات وميادين العمل الميداني المختلفة، واستبدلت فيها الأحاسيس والانفعالات بحقول وصيرورات، ومركبات أحاسيس، حلت محل اللغة، وأوجدت لغة أخرى داخل اللغة. وراحت تنشأ خلاصاً ومستقبلاً ينادي شعباً للمجيء وأرضاً أو وطناً كي يستريح، ولأجل ذلك طوّع المحتج السوري لغته، كي يحصل منها على ما يريد من أحاسيس، تجسد العذاب الإنساني المتجدد على مدى أكثر من أربع سنوات.

ملحق

أسماء الجمع في مرحلة التأسيس

- «جمعة الكرامة» (18-3-2011).
- «جمعة العزة» (25-3-2011).
- «جمعة الشهداء» (1-4-2011).
- «جمعة الصمود» (8-4-2011).
- «جمعة الإصرار» (15-4-2011).
- «الجمعة العظيمة» (22-4-2011).
- «جمعة الغضب» (29-4-2011).
- «جمعة التحدي» (6-5-2011).
- «جمعة حرائر سوريا» (13-5-2011).
- «جمعة أزاوي الحرية» (20-5-2011).
- «جمعة حماة الديار» (27-5-2011).
- «جمعة أطفال الحرية» (3-6-2011).
- «جمعة العشائر» (10-6-2011).
- «جمعة الشيخ صالح العلي» (17-6-2011)
- «جمعة سقوط الشرعية» (24-6-2011).
- «جمعة ارحل» (1-7-2011).
- «جمعة لا للحوار» (8-7-2011).
- «جمعة أسرى الحرية» (15-7-2011).
- «جمعة صمتكم يقتلنا» (29-7-2011).
- «جمعة الله معنا» (5-8-2011).
- «جمعة لن نركع إلا لله» (12-8-2011)
- «جمعة بشائر النصر» (19-8-2011).
- «جمعة الصبر والثبات» (26-8-2011).

- «جمعة الموت ولا المذلة» (2-9-2011).
- «جمعة الحماية الدولية» (9-9-2011).
- «جمعة ماضون حتى إسقاط النظام» (16-9-2011).

بعض شعارات الثورة السورية في مرحلة التأسيس والانطلاقة

- «عاشت سورية ويسقط بشار الأسد».
- «يا بشار ويا عميل جهاز حالك للرحيل».
- «أوقفوا القتل نريد أن نبني وطناً لكل السوريين».
- «ما دمت محترماً حقي فأنت أخي.. آمنت بالله.. أم آمنت بالحجر».
- «حماة لن تركع»، «درعا لن تركع».
- «انتهى زمن الحرية مقابل الخبز.. نريد الاثنين معاً».
- «ربّ أخ لم تلده أمك بل جلبته ثورتك».
- «لا للطائفية»، «الطائفية تقتل الشعوب».
- و«كلنا أخوة كلنا سوريا».
- «إيد وحدة إيد وحدة».
- «الشعب إيد وحدة».
- «الطائفية مقبرة الأوطان».
- «إيد بإيد نحنا ضد الظلم».
- «سوريا للكل».
- «نحننا إيد وحدة».
- «يا بثينة يا شعبان الشعب السوري مو جوعان».
- «يا درعا يا أبنية يا مشعل الحرية.. فدتنا حمص العدية بفرعتها الأوية».
- «ونحننا أهالي درعا أهل النخوة والفرعة.. ارحل يا ابن الطقعة.. وبشار خاين سوريا».
- «ما منحبك ما منحبك ارحل عنا إنت وحزبك».
- «يا بشار اسمع اسمع شعب درعا لا يركع».
- «مكتوب على البارودة بشار أيامك معدودة».
- «الموت ولا المذلة».
- «الله يا جبار عن درعا فك الحصار».

- «سفك الدماء وسيلة الجبناء».
- «جار البحث.. لم يتم العثور على ضمير حي يرجى البحث في كوكب آخر».
- «فلا نامت أعين الجبناء».
- «ما منحك ما منحك ارحل عنا أنت وحزبك ما منحك ما منحك ارحل عنا أنت وكذبك».
- «علينا الراية وعلينا الراية».
- «الما يشارك ما فيه ناموس».
- «سلمية سلمية سنية وعلوية اسلام ومسيحية ودروز وسمعولية مطالبنا شرعية».
- «ما بدنا إلا الحرية نحنا مو إرهابية».
- «نحننا شباب الحرية ما بدنا إلا الحرية».
- «يا بشار مانك منا خود ماهر وارحل عنا».
- «يا الله ما إلنا غيرك يا الله».
- «يا الله عجل فرجك يا الله».
- «يا الله نصرك نصرك يا الله».
- «يا للعار يا للعار سلمية تضرب بالنار».
- «يا للعار يا للعار حمص تصرخ تحت النار».
- «يا للعار يا للعار عالشب قاعد بالدار».
- «هؤور يا بو الهوارة دبّرهما وما لا دبارة.. نحننا بدنا الحرية والأسد بدو الدمارة».
- «شامنا لا تهتمي بفديكي بروحي ودمي».
- «دير الزور إنتي إمي والله محيي اللاذقية يا محلي هالحرية».
- «الله محييكي بانباس يلاً أومي ارفعي الراس الشبيحة بحمص بتنداس ودرعا الله محييا يا محلي هالحرية».
- «الشعب بدو freedom وبشار Go out من هون..
- «إذا بتطلع على ال moon ال people بدو حرية».
- «يا بشار يا بورثة ارحل عنا يا جدبة».
- «لا إيران ولا حزب الله بدنا رئيس يخاف الله».
- «النظام اللي بيحك منه شبيح سقطوا واستريح».
- «الشعب الفلسطيني المذبوح يتضامن مع الشعب السوري المذبوح».
- «ونحن نحب الحياة إذا ما استطعنا إليها سبيلاً».

- «تصبحون على وطن»، «تصبحون على حرية».
- «عمو الشهيد عدنان وهبة سلم لي على رفثاتي أطفال الحولة».
- «التريمسة جرح جديد».
- «أيها العالم لسنا معارضة، نحن شعب يريد الحرية والكرامة».
- «ما منحك ما منحك قاتل ظالم ناهب شعبك».
- «الشعب السوري جاي يردك وعند مبارك بدو يكبك».
- «إحنا شباب البلد ما نهاب الأسد».
- «يا بشار اسمع اسمع دم السوري ما بينباع».
- «يا بشار اسمع اسمع لغير الله ما بنركع».
- «اسمع اسمع يا بشار الشعب السوري عليك ثار».
- «طق وفرقع يا فشار إجاك الدور يا بشار».
- «يا بشار صبرك صبرك بدرعا رح نحضر قبرك».
- «يا بشار اخرس اخرس هاد شهيد مو مندس».
- «زنقة زنقة دار دار بدنا نشيلك يا بشار».
- «زنقة زنقة دار دار بدنا راسك يا بشار».
- «شارع شارع دار دار سوريا كلها أحرار».
- «شدي حيلك يا بلد الحرية بتنولد».
- «يا جزيرة يا أميرة والله إنك صرتي كبيرة».
- «بدنا نحكي عالمكشوف سرقونا عيلة مخلوف».
- «بدنا نحكي عالمكشوف حرميه ما بدنا نشوف».
- «يا رامي ويا مخلوف الشعب السوري مو متوف».
- «يا رامي ويا مخلوف الشعب السوري مو خروف».
- «يا بشار يا حيوان ودي كلابك عالجولان».
- «بالروح بالدم نفديكي يا درعا».
- «الفزعة الفزعة يا حوران».
- «القصاص القصاص من من أطلق الرصاص».
- «أهل درعا يا بشار بدن ياخذوا منك ثار».
- «نحنأ بدنا الحرية إسلام ومسيحية ودروز وعلوية».

- «الشعب والجيش إيد وحدة».
- «يا الله يا جبار أسقط الظالم بشار».
- «يا الله يا جبار انصرنا على بشار».
- «يا الله يا صمد أسقط بشار الأسد».
- «النخوة النخوة يا جيش».
- «من قامشلي لهوران الشعب السوري ما بينهان».
- «يا حيف درعا يا حيف شعبك واقف عالرصيف».
- «مظاهراتنا سلمية مطالبنا شرعية».
- «منطالب بالحرية ومنطلب ديمقراطية».
- «الشعب السوري ما بينذل بعمر و ما انهان وما مل».
- «يا ثوار ليبيا الأحرار متبرا من بشار».
- «الشعب السوري ما يبجوك لا انت ولا عمك ولا أخوك».
- «عن كرسبك رح يخلعوك أو بتروح لعند أبوك».
- «سوريا الله حاميها وبشار حراميها».
- «يا بشار باي باي بدنا نشوفك في لاهاي».
- «لا إيران ولا حزب الله بدنا مسلم يخاف الله».
- «يا بشار اسماع اسماع صوت الحق ما بينباع».
- «يا سوريا ويا إمي والله بفديكي بدمي».
- «افتحي بوابك يا جنة إجاكي شهيد من عنا».
- «ويا حوران نحنا معاكي عالموت».
- «ينصر دينك يا حوران الشعب السوري ما بينهان».
- «ينصر دينك يا بانياس الشعب السوري ما بينداس».
- «الله أكبر عالظالم».
- «لا سلفية ولا إرهاب الإعلام السوري كذاب».
- «هيك عنا وهيك صار سوريا بلد الأحرار».
- «يا حيف حلب يا حيف أختك حمص عم بتصيح».
- «حاميها حراميها».

عراضتي إبراهيم القاشوش

ياالله ارحل يا بشار

يا بشار مانك منا.. خود ماهر وارحل عنا.. وهاي شرعيتك سقطت عنا
 ويالله ارحل يا بشار
 يا بشار ويا كذاب.. مين كتبلك هالخطاب.. الحرية صارت عالباب
 ويالله ارحل يا بشار
 يا بشار العيب فيك.. وعيب بكل مين بيحييك.. وع الكرسي ما ح نخليك
 ويالله ارحل يا بشار
 يا بشار حاجة تدور.. دمك الفاسد مهدور.. وخطأك مانو مغفور
 ويالله ارحل يا بشار
 يا ماهر يا جبان.. يا عميل الأمريكان.. الشعب السوري ما بينهان
 ويالله ارحل يا بشار
 يا بشار وعد مني.. ما رح تقدر تخلص مني.. من بعدي ملايين تغني
 ياالله ارحل يا بشار
 أنا قاشوش وعد مني.. ما رح تقدر تخلص مني.. من بعدي ملايين تغني
 ياالله ارحل يا بشار
 لا حوار ولا نقاش.. مع هالشلة الأوباش.. يا بشار يا غشاش
 ويالله ارحل يا بشار
 يا بشار ويا مندس.. تضرب انت وحزب البعث.. وروح صلح حرف الاس
 ويالله ارحل يا بشار
 هادا صوتي عم بينادي.. ياالله روح تريك بلادي.. ياللي كذبك صاير عادي
 ويالله ارحل يا بشار

أنشودة سورية بدها حرية

بدنا نشيلو لبشار بهمتنا القوية.. سوريا بدا.. حرية
 طالبنا بالحرية سمونا إرهابية.. سوريا بدا.. حرية
 حيوا شباب الرستن والشباب الحموية.. سوريا بدا.. حرية
 مكتوب على علمنا بشار خاين وطننا.. سوريا بدا.. حرية

مكتوب على علمنا مخلوف سارق وطننا.. سوريا بدا.. حرية
 نحننا شباب التغيير مطالبنا شرعية.. سوريا بدا.. حرية
 حاجة تطلع قوانين قوانينك كذابية.. سوريا بدا.. حرية
 حاجة تطلع قوانين شرعيتك منتهية.. سوريا بدا.. حرية
 لو طيرتوا هالقاشوش في متلو الف ومية.. سوريا بدا.. حرية

عراضة حمصية

يا وطننا ويا غالي.. وبياضة ردوا عليا
 هبت من درعا ثورة.. بتنادي بالحرية
 داعل انخل وجاسم.. والقرى الحورانية
 والشام يا بخت الشام.. والمراجل خالدية
 وسباع يا باب سباع.. والمراجل خالدية
 رستن تليسة وبياضة.. مقابر للبعثية
 بابا عمرو يا عمري.. وتلكلخ يا عينيا
 بانياس اللي بترفع الراس.. وأهل البيضا زكرتيا
 طرطوس منبع ناموس.. ويا محلاها اللادقية
 يا ربي حماه حميها.. أهل الفدا نشميا
 والشهبا كلها تنام.. وتصحا رجال الحمية
 والحسكة أهلها كرام.. وأهل النخوة كردية
 قامشلي تبيد الظلام.. ودير الزور بتكويها
 على العين ثورة على العين.. نحن بدنا الحرية
 على العين ثورة على العين.. والشهدا يوميا
 عم يقولوا مندسين.. بشمركة وسلفية
 ببيجو يعتقلوا الشرفاء.. ويتركوا الحرامية
 ويا وطننا ويا غالي.. الشعب بدو الحرية
 ويا وطننا ويا غالي.. ويا بياضة ردو عليا
 خلي يقولوا مندسين.. بشمركة وسلفية
 ويا وطننا ويا غالي.. الشعب بدو الحرية.